OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

أسلوب الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك في ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصرالحديث

The Style of Calling for Monotheism and denying Polytheism in light of Quranic Examples and its Application in the Modern era.

Abdullah
Doctoral Candidate Faculty of Usuluddin, International Islamic university Islamabad
Abdul Wahid
Doctoral Candidate & Lecturer Department of Social sciences, Islamic studies at National university of Modern languages, NUML, Islamabad
Akhtar Ur Rehman
Doctoral Candidate Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad

Abstract

The Quran is the most Read Book in the world. Revealed by the Allah to Holy prophet Muhammad, and the Quran is the source of guide for all human being .there are blessings, promises, warning, rules, exhortation, orders, prohibitions and Examples .The holy Quran called peoples to Monotheism and Reject polytheism in a variety of ways .it is known the Examples in the holy Quran is one of the Methods has great impact on persuasive and influential events. This Research article Explains and analyze about the importance and method of Examples of Quran for inviting people to towhead denying polytheism.

Keywords: Importance of Quranic Examples for inviting people to Towheed and denying polytheism (shirk)

CC BY

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين, والصلاة والسلام على سيد المرسلين, وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد : إن القرآن الكريم مشتملا على الوعد ،والوعيد، والأحكام ، والمواعظ ،والأمر، والنهي وضرب الأمثال ، لأن القرآن الكريم هو كتاب الله -عزوجل- المنزل على خاتم الأنبياء " محمد" صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، فالقرآن هو المعجزة والحجة البالغة لرسول البشرية "محمد "- صلى الله عليه وسلم - ولقد دعا القرآن الكريم الناس إلى التوحيد ونفي الشرك بأسلوب متنوعة ، ومن المعلوم أن ضرب الأمثال فى القرآن الكريم هو أحد الأساليب الدعوية ذا ت التأثير البالغ فى إحداث الإقناع والتاثير، كما أن خصوصية المثل فى القرآن الكريم تجعله أسلوبا متميزاً فى الدعوة إلى الله .وسيقوم هذا البحث - بإذن الله- بتحليل الأمثال القرآنية تحليلاً دعوياً، للتعرف على وجوه الأساليب الدعوية من خلال الأمثال القرآنية التي تفيد الداعية من عمليته الدعوية . وقد جعلتُ هذا البحث في تمهيد، ومبحثين وخاتمة .

أما التمهيد فيتناول الأمور التالية

مفهوم المثل لغة وإصطلاحاً ، وأغراض ضرب المثل فى القرآن الكريم .

والمبحث الأول: أسلوب الدعوة إلى التوحيد في ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث

المبحث الثانى : أسلوب الدعوة إلى نفي الشرك في ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث

التمهيد

نذكر أولاً معنى المثل فى اللغة وفى الإصطلاح أما المثل فى اللغة ، قال الفيروز آبادي : وتمثل بالشيء: ضربه مثلا. والمثال: المقدار، والقصاص، وصفة الشيء، والفراش ، والتمثال، بالفتح: التمثيل، وبالكسر: الصورة .ومثله له تمثيلا: صوره له حتى كأنه ينظر إليه. (1) وأما المثل فى الإصطلاح : يقول ابن القيم الجوزية تعريفاً للمثل فى اصطلاح القرآن : هو تشبيه شئ بشئ في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر. (2) يقول مناع القطان : الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن: فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا . (3)

أغراض ضرب الأمثال القرآن الكريم

وأغراض ضرب الأمثال في القرآن لا تنحصر، لكنها تُرَدُّ في جملتها إلى مقصد واحد، وهو بيان الحق الذي جاءت به الرسل لهداية الخلق، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده, والانقياد لطاعته -عز وجل، وذلك بوضع منهج متكامل روعيت فيه مصالح العباد في العاجل والآجل. وإذا كانت هذه الأغراض لا تنحصر, فإنه بإمكاننا أن نذكر أصولها بوجه عام، وهي ستة يندرج تحتها فروع بحسب من ضُرِبَ له، أو ضُرِبَ فيه المثل.

الغرض الأول: تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب، وذلك بأن يكون المخاطب جاهلًا بحقيقة الشيء الممثَّل له جهلًا مطبقًا، أو لديه نوع جهالة به، أو كان غامضًا عليه مع علمه به على وجه الإجمال, فيأتي المثل القرآني لرفع هذه الجهالة وإزالة هذا الغموض، والفصل في القضية فصلًا يقرّه العقل السليم, ولا يمجه الطبع المستقيم، فلا يقع المخاطب بعد فهمه لهذا المثل تحت الشك أو الخيال المفرط، فلا يسعه إلا الإيمان به والتسليم بنتائجه.

الغرض الثاني: الإقناع بأمر من الأمور، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة.والحجة البرهانية هي الحجة الملزمة التي تفيد اليقين، أما الحجة الخطابية فهي حجة إقناعية ظنية تفيد الظن الراجح.ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه ولو لم يشتمل على آية حجة.فمن البراهين العقلية المقنعة ما ورد من الأمثال في بدء الخلق وإعادته، فقد استدلَّ الخالق -جل شأنه- على إعادة الخلق ببدئهم، وهو من أقوى البراهين على الإطلاق؛ لأن القادر على البدء والإيجاد من العدم قادر على الإعادة لا محالة. قال تعالى(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُ) (4)

الغرض الثالث: الترغيب والترهيب بذكر محاسن ما يرغّب فيه ومساوئ ما ينفّر منه، كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) . (5)

الغرض الرابع: إثارة محور الطمع والرغبة, أو محور الخوف والحذر لدى المخاطب. وهذا من الأغراض التربوية المهمة، ونلاحظه بكثرة في البيانات القرآنية "أي: في الأساليب التي تجسم المعاني في صور محسَّة ومشاهدة في الواقع الخارجي، ومن خلال الظواهر الطبيعية والمشاهد الكونية". من ذلك قوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (6)

الغرض الخامس: مدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، بقصد التمييز بين المصلِح والمفسِد، والمحسِن والمسيء؛ ليزداد المحسِن إحسانًا، ويرعوي المسيء عن إساءته. ومن ذلك ما ورد في ذمّ اليهود من سورة الجمعة:(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) (7)

الغرض السادس: شَحْذُ ذهن المخاطَب، وتحريك طاقاته الفكرية، أو استحضار ذكائه؛ لتوجيه عنايته حتى يتأمَّل ويتفكَّر، ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر.

وهذا النوع من الأمثال يخاطَبُ به الأذكياء وأهل التأمُّل والتفكُّر، ومعلوم أن استخدام الأساليب الذكية التي يحتاج إدراك المراد منها إلى ذكاء، مما يرضي الأذكياء، ويحرك طاقاتهم الفكرية، ويلفت أنظارهم بقوة، ويدفعهم إلى توجيه عنايتهم لإدراك المراد بالتأمُّل وإمعان النظر. ومن الأمثال القرآنية

التي تصلح شاهدًا لهذا قول الله تعالى في سورة الحشر:(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ". [8]

المبحث الأول: أسلوب الدعوة إلى التوحيد في ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث

المثال الأول

قوله تعالي : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . [9]بين الآية عن عبادة الأصنام ،وشيبه سبحانه وتعالى عبادة الأصنام بالعبد المملوك الذي لا يملك من المال شيئا ، أما المؤمنون فهم حر فى اتحاذ قرارهم كما أنهم يشاركون فى أرزاهم الآخلاين ، وأبرز الطنطاوي –رحمه الله- التوحيد في ضوء هذا المثل بقوله : " أن الله سبحانه وتعالي فساق مثالاً حكيماً يدل على وحدانية الله- تعالى- وقدرته. فقال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ) أى: ذكر الله- تعالى- وبين ووضح لكم مثلا تستدلون به على وحدانيته- سبحانه- وهو أن هناك عبدا رقيقا مملوكا لغيره، وهذا العبد لا يقدر على شيء من التصرفات حتى ولو كانت قليلة. ووصفه أيضا- بأنه لا يقدر على شيء للتمييز بينه وبين المكاتب والعبد المأذون له في التصرف، لأنهما يقدران على بعض التصرفات.هذا هو الجانب الأول من المثل، أما الجانب الثاني فيتجلى في قوله- تعالى-: وَمَنْ رَزَقْناهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْراً... أى: ذكر الله- تعالى- لكم لتتعظوا وتتفكروا، حال رجلين: أحدهما عبد مملوك لا يقدر على شيء. والثاني حر مالك رزقه الله- تعالى- رزقا واسعا حلالا حسنا، «فهو» أى هذا لحر ينفق على غيره من هذا الرزق الحسن «سرا وجهرا» واختار- سبحانه- ضمير العظمة في قوله رَزَقْناهُ للإشعار بكثرة هذا الرزق وعظمته، ويزيده كثرة وعظمة قوله- تعالى- بعد ذلك مِنَّا أى من عندنا وحدنا وليس من عند غيرنا. هذان هما الجانبان المتقابلان في هذا المثل، والفرق بينهما واضح وعظيم عند كل ذي قلب سليم، ولذا جاء بعدهما بالاستفهام الإنكارى التوبيخي فقال:هَلْ يَسْتَوُونَ؟ أى: هل يستوي في عرفكم أو في عرف أى عاقل، هذا العبد المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء.. مع هذا الإنسان الحر. المالك الذي رزقه الله- سبحانه- رزقا واسعا حلالا، فشكر الله عليه، واستعمله في وجوه الخير.إن مما لا شك فيه أنهما لا يستويان حتى في نظر من عنده أدنى شيء من عقل.ومادام الأمر كذلك، فكيف سويتم- أيها المشركون الجهلاء- في العبادة، بين الخالق الرازق الذي يملك كل شيء، وبين غيره من المعبودات الباطلة التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تعقل، ولا تملك شيئا." [10]

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

الغرض مما تقدم من دراسة المثل الذي ضربه الله في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا) يتبين أن المثل ضرب لبيان حقيقة هامة ،وهو بيان التوحيد بذكر مثال رجلين: أحدهما عبد مملوك لا يقدر على شيء. والثاني حر مالك رزقه الله- تعالى- رزقا واسعا حلالا طيباً ، والفرق بينهما واضح جداً عند كل ذي

قلب سليم ، لا شك فيه أنهما لا يستويان حتى في نظر من عنده أدنى شيء من عقل، هذا هو المثال الذي ذكره الله- تعالى- للاستدلال على بطلان التسوية بين عبادة الله- تعالى- الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء.. وبين عبادة غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئا، ولا تملك شيئا، ولا تضر ولا تنفع. إذًا يمكن لداعي أن يستخدم مثل هذا المثال في هذا العصر لدعوة إلى الله خاصة لغير المسلمين الذين لا يقبلون القرآن والسنة ويعتمدون على العقل المحض فقط، ويقدم أمامهم مثل هذه الأمثلة التي تشجعهم إلى سماع كلامك الداعية والتفكير عنه .

المثال الثاني

قوله تعالي : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (11) والمثال الثاني الذي ضرب الله لبيان التوحيد مع ذكر مقارنة بين الإنسان المؤمن والإنسان المشرك وقد قارن سبحانه وتعالى بين عبدين لايمكن لاحد الفوارق بين هذين الأنسانين ، وقد تكلم سيد قطب –رحمه الله- حول هذا بقوله : " أما المثال الثاني فهو أشد وضوحا من سابقه على وحدانية الله- تعالى- ورحمته بعباده، وعلى الفرق الشاسع بين المؤمن والكافر، ويتجلى هذا المثال في قوله- عز وجل-:(: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ...) أى: وذكر الله- تعالى- مثلا آخر لرجلين، أَحَدُهُما أَبْكَمُ أى: لا يستطيع النطق أو الكلام، ضعيف الفهم والتفهيم لغيره.لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ أى: لا يقدر على فعل شيء من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره.وَهُوَ أى هذا الرجل كَلٌّ عَلى مَوْلاهُ أى: حمل ثقيل، وهم كبير على مولاه الذي يتولى شئونه من طعام وشراب وكساء وغير ذلك. وهذا بيان لعدم قدرته على القيام بمصالح نفسه، بعد بيان عدم قدرته على القيام بفعل أى شيء على الإطلاق.وقوله أَيْنَما يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ أى: أن هذا الرجل حيثما يوجهه مولاه وكافله لقضاء أمر من الأمور يعود خائبا، لعجزه، وضعف حيلته، وقلة إدراكه.. فأنت ترى أن الله- تعالى- قد وصف هذا الرجل بأربع صفات، تدل على سوء فهمه، وقلة حيلته، وثقله على ولى أمره، وانسداد طرق الخير في وجهه..هذا هو الجانب الأول من المثل، أما الجانب الثاني فيتجلى في قوله- تعالى-: هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ.. أى: «هل يستوي هو» أى هذا الرجل الأبكم العاجز.. مع رجل آخر «يأمر» غيره بالعدل «وهو» أى هذا الرجل الآخر في نفسه «على صراط مستقيم» أى: على دين قويم، وخلق كريم فقد جمع بذلك بين فضيلتين جليلتين: نفعه لغيره، وصلاحه في ذاته.لا شك أن هذين الرجلين لا يستويان في عقل أى عاقل، إذ أن أولهما أبكم عاجز خائب..وثانيهما منطيق، ناصح لغيره، جامع لخصال الخير في نفسه.ومادام الأمر كذلك فكيف سويتم- أيها المشركون الضالون المكذبون- في العبادة بين الله- تعالى- وهو الخالق لكل شيء، وبين تلك الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن عابديها شيئا.أو كيف

سويتم بين المؤمن الجامع لكل مكرمة، وبين الكافر الغبي الأبله الذي آثر الغي على الرشد، فتكون الآية الكريمة مسوقة لبيان الفرق الشاسع بين المؤمن والكافر. " ([12])

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

ورد هذا المثل أيضاً لبيان التوحيد حيث بين سبحانه بهذا المثل حال عبد لا يستطيع النطق أو الكلام، ضعيف الفهم والتفهيم لغيره. وهو حمل ثقيل، وكبير على مولاه الذي يتولى شئونه من طعام وشراب وكساء وغير ذلك ، أن هذا الرجل حيثما يوجهه مولاه وكافله لقضاء أمر من الأمور يعود خائبا، لعجزه، وضعف حيلته، وقلة إدراكه ، ثم أتبع ذلك - سبحانه وتعالى – بذكر حال عبد آخر الذي يأمر غيره بالعدل وهو أى هذا الرجل الآخر في نفسه على صراط مستقيم أي متصف بفضيلتين جليلتين: نفعه لغيره، وصلاحه في ذاته، لا شك أن هذين الرجلين لا يستويان في عقل أى عاقل ، فكذلك لا يستويان الخالق لكل شيء وهذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر . كيف أن الله سبحانه وتعالى بين مثالاً لهذين عبدين مع غاية وضوح ، فيه دروس لداعي أن يتميز نفسه من الآخرين بأستخدام الأمثلة العقلية لإثبات التوحيد ونفى الشرك فى هذا العصر العولمة الناس يميلون فيه إلى العقل ويعتبرون العقل دليلاً لإثبات دعواهم .

المثال الثالث

قوله تعالي : يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. ([13])هذا المثل أيضاً بيان التوحيد والشرك ، باعتبار اختلاف مستواهم أن الله بين ضعف عبادة الأصنام ، وأبان الطنطاوي –رحمه الله- هذا بقوله : " والمعنى: يا أيها الناس لقد بينا لكم قصة مستغربة وحالا عجيبة. لما يعبد من دون الله- تعالى- فاستمعوا إليها بتدبر وتعقل.وقوله: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ.. بيان للمثل وتفسير له.والذباب: اسم جنس واحده ذبابة- وهي حشرة معروفة بطيشها وضعفها وقذارتها.أى: إن المعبودات الباطلة التي تعبدونها أيها المشركون، لن تستطيع أن تخلق ذبابة واحدة، حتى لو اشتركت جميعها في محاولة خلق هذه الذبابة.وقوله- سبحانه-: وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ بيان لعجز تلك الآلهة الباطلة من أمر آخر سوى الخلق.أى: وفضلا عن عجز تلك الأصنام مجتمعة عن خلق ذبابة، فإنها إذا اختطف الذباب منها شيئا من الأشياء لا تستطيع استرداده منه لعجزها عن ذلك. وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه، ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره، لا يقدر من عبدوه من دون الله- تعالى- على خلق مثله، ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين، وأربابا مطاعين، وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان .ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بما يدل على عجز الخاطف والمخطوف منه فقال:ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ.والطالب: عابد غير الله- تعالى- والمطلوب: الآلهة، وكون عابد ذلك

طالب لدعائه إياه، واعتقاده نفعه، وضعفه لطلبه النفع من غير جهته، وكون الآخر مطلوبا ظاهرا كضعفه." (14)

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

نرى أن الآية الكريمة قد ساقت مثالاً واضحاً، لبيان الفرق الشاسع بين ذات الله- تعالى- الخلاق العليم . وبين تلك المعبودات الباطلة التي أشركها الضالون في العبادة مع الله- عز وجل-حيث قال الله سبحانه وتعالى، أن المعبودات الباطلة التي تعبدونها أيها المشركون، لن تستطيع أن تخلق ذبابة واحدة، حتى لو اشتركت جميعها في محاولة خلق هذه الذبابة، وفضلا عن عجز تلك الأصنام مجتمعة عن خلق ذبابة، فإنها إذا اختطف الذباب منها شيئا من الأشياء لا تستطيع استرداده منه لعجزها عن ذلك ولا قابلية لها لدفع الشر عن عبادها ليس لها قدرة الدفاع عن نفسها ، وذكر الذباب لمهانته وضعفه، ولاستقذاره وكثرته ، إذاً فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين ، وهذا من أقوى مثالاً بينه الله تعالى للدعوة إلى التوحيد ، يمكن للداعية إستخام مثل هذه الأمثلة لبيان قدرة الله وقوته من السماء والأرض مع ذكر ضعف الأصنام الذين يعبدونها الكفار والمشركين فى بلاد مختلفة فى هذا العصر .

المثال الرابع

قوله تعالى : ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .(15)إن سبحانه وتعالى بين مثالا آحر لبيان التوحيد وذكر فيه أن العبد الذي ليس له قوة لعمل إلا بإذن المولى ، فهل أن المولى يشاركه فى أموره ، وقد بين الشعراوي –رحمه الله –هذا بقوله : "وبهذا المثَل يؤكد الحق - سبحانه وتعالى - في قمة تربية العقيدة الإيمانية، يؤكد على واحدية الله وعلى أحديته، فالواحدية شيء والأحدية شيء آخر: الواحدية أنه سبحانه واحد لا فرد آخر معه، لكن هذا الفرد الواحد قد يكون في ذاته مُركّباً من أجزاء، فوصف نفسه سبحانه بأنه أحدٌ أي: ليس مُركَّباً من أجزاء. أكَّد الله هذه الحقيقة في قرآنه بالحجج وبالبراهين، وضرب لها المثل. وهنا يضرب لنا مثلاً من أنفسنا ليؤكد على هذه الوحدانية.وقوله تعالى: (مِّنْ أَنفُسِكُمْ ..) يعني: ليس بعيداً عنكم، وأقرب شيء للإنسان نفسه، إذن: فأوضح مثَل لما غاب عنك أنْ يكون من نفسك، ومن ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...) (16) أي: من جنسكم تعرفون نشأته، وتعرفون خُلُقه وسيرته. لكن، ما المثَل المراد؟المثل: (هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُ . يقول سبحانه: أريد أنْ أضرب لكم مثلاً على أن الإله الواحد يجب عقلاً ألاَّ تشركوا به أشياء أخرى، والمثل أنّي أرزقكم، ومن رزقي لكم مَوَال وعبيد، فهل جئتم للرزق الذي رزقكم الله وللعبيد وقلتم لهم: أنتم شركاء لنا في أموالنا تتصرفون فيها كما نتصرف نحن، ثم جعلتم لهم مطلق الحرية والتصرف،

ليكونوا أحراراً أمثالكم تخافونهم في أنْ تتصرفوا دونهم في شيء كخيفتكم أنفسكم؟ هل فعلتم ذلك؟ بل هل تقبلونه على أنفسكم؟ إذن: لماذا تقبلونه في حق الله تعالى وترضَوْن أنْ يشاركه عبيده في مكله؟ إنكم لم تقبلوا ذلك مع مواليكم وهم بشر أمثالكم ملكتموهم بشرع الله فائتمروا بأمركم. هذا معنى (مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...) أي: من البشر، فهم مثلكم في الآدمية، وملكيتكم لهم ليست مُطْلقة، فأنتم تملكون رقابهم، وتملكون حركة حياتهم، لكن لا تملكون مثلاً قتلهم، ولا تملكون منعهم من فضاء الحاجة، لا تملكون قلوبهم وإرادتهم، ثم هو مُلْك قد يفوتك، كأن تبيعه أو تعتقه أو حتى بالموت. ومع ذلك ما اتخذتموهم شركاء، فعَيْب أنْ تجعلوا لله ما تستنكفون منه لأنفسكم." ([17])

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

إن الله سبحانه وتعالى بين هذه الآية لبيان التوحيد والنفى الشرك ،وقال أن لا تستعد أن تجعل عبدك فى أموالك وفى اتحاذ قراراتك وكيف تجعل الأصنام شريك مع الله مع أن الله هو الخالق لجميع المخلوقات فى الدنيا والآخرة ، يمكن لداعى أن يدعوا الناس خاصة لغير المسلمين الذين يعبدون الأصنام أن يطرح أمامهم السوال الذي يشجعهم إلى التفكير والإستقراء فى أمر التوحيد حتى يقبل الإسلام .

المبحث الثاني: أسلوب الدعوة إلى نفي الشرك في ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث

المثال الأول

قوله تعالى :وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ . ([18]) أن الآية الكريمة شبه الشرك بالسقوط من السماء ، كما بين الطنطاوي –رحمه الله- بقوله : "بين سبحانه وتعالى حال من يشرك بالله تصويرا تنخلع له القلوب، ويحمل كل عاقل على اجتناب هذا الرجس فقال: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ- أى: ومن يشرك بالله- تعالى- في عبادته، ومات على ذلك، فكأنما سقط من السماء إلى الأرض، فاختطفته جوارح الطير بسرعة فمزقت أوصاله، أو تسقطه الريح في مكان بعيد أشد البعد بحيث لا يعثر له على أثر. والمقصود من هذه الجملة تقبيح حال الشرك والمشركين، وبيان أن الوقوع في الشرك يؤدى إلى الهلاك الذي لا نجاة معه بحال، لأن من يسقط من السماء فتتمزق أوصاله، وتتخطفه الطير أو تلقى به الريح في مكان بعيد لا يطمع له في نجاة، بل هو هالك لا محالة.فالجملة الكريمة مقررة لوجوب اجتناب الشرك بأبلغ صورة." ([19])

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

يبرز من آية السابقة أن الشرك والمشرك كالإنسان الذي يسقط من السماء نحو الأرض ثم يأكل جوارحه الطيور فى السماء أو يلقيه الرياح فى مكان سحيق لا يمكن لإنسان الوصول إليه

، وينبغى للداعية أن يستخدم هذا المثال العقلي لبيان شنيع الشرك والمشركين حتى يكون وسيلة عقلية للدعوة

المثال الثاني

قوله تعالى : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ، هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ . ([20])إن الله –عزوجل- شبه المشرك فى هذا المثل بالعبد الذي يملكه أرباب مختلفة كل واحد يأمره حسب حاله، ووضح صاحب ظلال القرآن هذا المثل بقوله: "يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضا فيه، وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه! وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح..«هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟» ..إنهما لا يستويان. فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين. وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق. والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضي واحدا منهم فضلا على أن يرضي الجميع! وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال. فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى، لأن بصره أبدا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق.

ولأنه يعرف مصدرا واحدا للحياة والقوة والرزق، ومصدرا واحدا للنفع والضر، ومصدرا واحدا للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته. ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره. ويخدم سيدا واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه.. وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء. " ([21])

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

إن الله –سبحانه وتعالى – بين حال المشرك بالعبد الذي له أرباب كثيرة كل واحد يأمره حسب حاله ، فيتحير العبد المملوك كى لا يمكنه أن يمتثل كل واحد منهم فى آن واحد فلذلك يختل حياته ، فيمكن للداعية أن يستخدم هذا المثال العقلي لبيان أهمية التوحيد وشناعة الشرك وتأثيره فى حياة الإنسان .

المثال الثالث :

قوله تعالى : وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. ([22])إن الله-تبارك وتعالى- بين فى هذا المثال حال المشرك بالظمان الذي يتفتش الماء فى البئر ليبلغ الماء ، وأجاد الشعراوي –رحمه الله- هذا بقوله : "وسبحانه

قد دعانا إلى أنْ تؤمن بإله واحد وهي دعوة حق، والذين من دونه يدعون لإله غير حق. والضمير هنا قد يعود إلى الله فكأن الله قد دعا خَلْقه إلى كلمة الحق وهي «لا إله إلا الله» ، والذينكانوا يدعُونَ الأصنام؛ والأصنام لا تضرُّ ولا تنفع؛ فالصنم مِنْ هؤلاء لا يقدر على نفسه أو لنفسه؛ فقد كان من الحجر.وبطبيعة الحال فالدعاء لمثل تلك الأصنام لا تحقق شيئاً؛ لأنها لا تقدر على أي شيء.وهكذا يتأكد لنا أن دعوة الحقِّ هي أن تدعوَ القادر؛ أما الذين يدعون المعبودات الباطلة فإنها تخيب من يدعوها في مقصده، ولذلك يقول الحق سبحانه هنا:(لَهُ دَعْوَةُ الحق والذين يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ...) لأنهم لا يملكون شيئاً فالصنم من هؤلاء لا يسمع فكيف يستجيب؟ ثم يضرب الحق سبحانه المَثَل بشيء مُحَسٍّ؛ نفعله كلنا؛ فيقول:(لاَيَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المآء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ...)فالعطشان ما أنْ يرى ماءً حتى يَمُدَّ يده إليه ليغترف منه؛ لكن يده لا تصل إلى الماء؛ هذا هو الحال مَنْ يدعو غير الله؛ فقد سأل غير القادر على إنفاذ مطلبه، وهكذا يكون دعاء غير الله؛ وهو دعاء في ضلال وفي غير متاهة ".([23])

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

بين سبحانه وتعالى : حال المشرك الذي يقصد الماء فى البئر العميق وهو لا يستطيع فكما أن المشرك بشركه يريد أن يحل مشاكله فمشاكلهم لا تحل أبداً ، فينبغى للداعية استخدام هذه الآمثلة لبيان شناعة الكفر وأهمية التوحيد.

المثال الرابع

قوله تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . ([24])أن الله –عزوجل –بين المشرك بالعنكبوت وأصنامهم بالبيت العنكبوت ، كما تحدث الطنطاوي –رحمه الله- بقوله:" والعنكبوت: حشرة معروفة، تنسج لنفسها في الهواء بيتا رقيقا ضعيفا، لا يغنى عنها شيئا، وتطلق هذه الكلمة على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في استعمالها التأنيث. والواو والتاء زائدتان، كما في لفظ طاغوت.والمعنى: حال هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله- تعالى- أصناما يعبدونها، ويرجون نفعها وشفاعتها ... كحال العنكبوت في اتخاذها بيتا ضعيفا مهلهلا، لا ينفعها لا في الحر ولا في القر، ولا يدفع عنها شيئا من الأذى.فالمقصود من المثل تجهيل المشركين وتقريعهم، حيث عبدوا من دون الله- تعالى- آلهة، هي في ضعفها ووهنها تشبه بيت العنكبوت، وأنهم لو كانوا من ذوى العلم لما عبدوا تلك الآلهة." ([25])

أهم الفوائد المستفاده من دراسة المثل من آية السابقة وتطبيقه فى العصر الحديث

إن الله سبحانه وتعالى بين هذا المثال لتجهيل المشركين فى شركهم وترغيبهم لقبول الإسلام فيمكن للدعاة أن يتستخدم هذا المثال لبيان حال المشرك وجهالتهم حتى أن يميل إلى الإسلام .

خاتمة البحث

يتناول البحث موضوع "أسلوب الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك فى ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث " وقد إشتمل البحث على تمهيد لبيان مفهوم المثل لغة وإصطلاحاً ، كما يتناول البحث أغراض ضرب المثل فى القرآن الكريم .و كما يتناول أيضاً أسلوب الدعوة إلى التوحيد في ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث فى المبحث الأول، وأسلوب النفي الشرك فى ضوء الأمثال القرآنية وتطبيقها فى العصر الحديث فى المبحث الثاني ، حيث أن تكون هذه الأمثال القرآنية وسيلة من وسائل الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك . بعد دراستي لهذا الموضوع عن الأمثال القرآنية , وصلت إلى النتائج التالية الهامّة ،يمكن لنا أن نقدم خلاصة المقال في صورة :

(1) أن أسلوب الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك في ضوء المثل القرآني أهمية كبري بالنسبة إلى إصلاح العقيدة الفرد ،والناس، والمجتمع من الشرك فى ضوء القرآن الكريم .

(2) تبين مما تقدم أن الأمثال القرآنية ضربها لله تعالى تشمل: عن نهي اتخاذ الشركاء والأنداد، واعتقاد مماثلة أحد من الخلق لله في ذاته وأسمائه وصفاته، أو ألوهيته واستحقاق العبادة، أو ربوبيته وأفعاله.

(3) أن الأمثال القرآنية أهم أسلوب من أساليب الدعوية إلى التوحيد ونفي الشرك ،بينها الله مثالاً حكيماً يدل على وحدانية الله-وقدرته ، بصورة ضرب الممثل له إلى ذهن المخاطب، وذلك بأن يكون المخاطب جاهلًا بحقيقة الشيء الممثَّل له جهلًا مطبقًا ، أو كان غامضًا عليه مع علمه به على وجه الإجمال, فيأتي المثل القرآني لرفع هذه الجهالة وإزالة هذا الغموض ، وأغراض ضرب الأمثال في القرآن لا تنحصر، لكنها تُرَدُّ في جملتها إلى مقصد واحد، وهو بيان الحق الذي جاءت به الرسل لهداية الخلق، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده, والانقياد لطاعته -عز وجل –

References

[1] Abu Taher Majd Uddin Muhammad bin Yaqoub al-Firozabadi , *Al-qamus al-muhit*(Beirut: Muasasat al-risalat liltibaeat wa al-tawzieh ,1426), 1:1026.

.Muhamad bin abi bakr bin ayuwb bin saed shams al-diyn Ibn qiam al-jawzia, Al-Amthal fi al-Quran, (Maktabat al-sahabat masir) 4:49.

[3] : Manaa bin khalil al-qataan , *Mabahith fi uloom al-Quran,* (Maktabat al-maearif li al nashar wa al- tawzie), 1:292.

[4] : Al-Anbia 21: 104.

[5] : Ibrahim 14: 24-25.

[6] : Al-Baqara 2: 261.

[7] : Al-Jumu 62: 5.

[8] : Muhamad bakr Ismaeil , *Dirasat fi alquran* (al-naashir: dar almanar , al-taabiti: al-thaaniat 1419), 1:311.

[9] : Al-Nahl 16:75.

[10] : Muhamad sayid tantawi, *Al-tafsir al-wasit lil-Quran al-karim* (Dar al-nahdat misr, lil bait wa Al-nashr waltuwzi , al-fajaalat – Al-Qahira), 8: 201.

[11] : Al-Nahl 16:76.

[12] : Qutb Ibrahim husayn Al-shazili , *Zilal al-Quran* (Beirut al-naashir: dar al-shuruqt, Al-Qahira), 6:202.

[13] : Al- haj 22:75.

[14] : Sayid tantawii , *Al-tafsir al-wasit lil Quran al-karim*, 9: 346.

[15] : Al-Rowm 30: 28.

[16] : Al-Tawba 9: 128.

[17]: Muhamad mutabadal alshaeawi ,*Tafsir al shaarawi – Al-khawatir*, (mutabie 'akhbar alyawm), 18: 1398.

[18] : Al-Baqara 2: 31.

[19]: Sayid tantawi , *Al-tafsir al-wasit lil Quran al-karim* , 9: 307.

[20] : Al-Zumar 39: 29.

[21] : Sayid qutb , *Zilal al-Quran* , 5: 3049.

[22] : Al-Rad 13: 14.

[23] : Muhamad mutwaliy , *Al-tafsir al-wasit lil Quran al-karim* ,12: 7261.

[24] : Al-Ankabut 29: 41.

[25] : Muhamad sayid Tantawii , *Al-tafsir al-wasit lil Quran al-karim* , 11: 40. .